الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

الأمن في الإيمان

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي أكرمنا بخير الشرائع وأوفاها، وعلم جهر كل نفس ونجواها، والأرض دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، خلق الشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها. أحمده سبحانه وتعالى، من رب عظيم كريم لا يماثل ولا يضاهى. أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، شهادة من طهر نفسه وزكاها، وأشهد أن نبينا وحبيبنا وإمامنا وقدوتنا وقائدنا محمدًا عبد الله ورسوله، المبعوث بأشرف الملل وأزكاها، الذي شيد قواعد الملة وبناها، وعلى آله وأصحابه خيار الأمة وأتقاها وأعلمها وأهداها.

عباد الله، لشريعتنا الإسلامية مقاصد، وثوابت شرعية، جاءت الشريعة بكليات الحياة الخمس، وضرورات الحياة الكلية الأساسية: الحفظ الديني والنفس والعقل والعرض. والهدف من كليات الحياة أمن الأفراد، واستقرار المجتمع، وتحقيق المنافع، وتحصيل المصالح. ويوم أن تركت الأمة منطلقات دينها للحفاظ على الحياة فقدت الأمة معنى الحياة. وإن الحياة الأساسية التي ينشدها الإسلام حياة تكفل لكل مسلم عيشًا كريمًا، وحياة مستقرة آمنة مطمئنة.

إن الإسلام هو دين الأمن في المقام الأول، وإن الإسلام لا يزدهر، وإن الدعوة لا تثمر، إلا في ظل مجتمعات آمنة ونفوس مطمئنة، وإن خطاب الله لا يُسمع إلا في ظل المجتمعات الآمنة. الأمن نعمة من الله، ينشد الأمن كل عاقل، بل يطلبه كل شيء. إنك ترى الكائنات تحافظ على حياتها بألوان من الإلهامات التي أودعها

الله فيها، فتراهم يتشكلون في البيئة، وبعضهم عندهم من السموم إفرازات ما يحافظ به على نفسه. وترى الغزال إذا طُلب للصيد جرى من الناس بعيدًا، وطلب المسالك الوعرة، وجرى بكل ما يملك من قوة لينجو وليحافظ على حياته. فالحفاظ على الأرواح، والحفاظ على أمن وسلامة واستقرار المجتمعات، مما ينشده العقلاء، بل مما تطلبه الكائنات.

وهذه القضية، قضية الأمن، هي من القضايا الأساسية في الإسلام، ولذلك مُنع الخروج على الحكام، ومُنع الخروج على الأنظمة الجائرة، ولفرض سيادة القانون حتى لا يتعدى من يتعدى على الناس جزافًا. الأمن إحساس وليس قوات. لو أنك نشرت في كل شبر من البلاد، لن يأمن المواطن حتى يحس في دواخله ويدرك في بواطنه أنه آمن. إن انتشار الشرطة دليل على عدم وجود الأمن، وإلا لماذا نشرت الشرطة؟ نشرت لأن هنالك خللًا متوقعًا. الأمن قضية وجدانية وإحساس: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾. الأمن من الخوف هو قيمة الحياة، ولو عاش الناس في رعب وخوف دائمين لفقد الإنسان حياته، ولفقد قيمة هذه الحياة.

إنا لا نشكك في قدرة الأجهزة الأمنية والشرطية والعدلية، بل ندعمها ونؤيدها ونقف بجانبها ونعاونها ونساعدها لأجل استقرار البلد، ولكننا نتحدث عن مرتكزات الأمن في الإسلام: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾. الأمن من الله عز وجل.

وأنا لا أفرق في القتل بين مسلم ونصراني، فالكل دمه عندنا معصوم، لا أفرق في القتل بين شمالي وجنوبي، لأن هذا تفريق عنصري. وينبغي أن نصون هذه الإنسانية وهذه الروح التي أودعها الله.

أسس ومرتكزات الأمن في الإسلام، عنوان هذه الخطبة: الأمن في الإيمان. إن أردتم الأمن فعليكم بطاعة من يملك الأمن، الذي يمكن أن يسبغ عليكم الأمن: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. إن أحداث الاثنين المشؤوم ما زالت في وجداننا وفي ذاكرتنا، ما حصل من التخريب وانفراط في الأمن، وترويع للمسلمين والأبرياء والمساكين، وسفك للدماء ونهب للأموال وحرق للمتاجر إلى غير ذلك.

أول مرتكزات الأمن في الإسلام الأمن الفكري والسلامة القيمية، ونعني بالأمن الفكري لب الأمن. ماذا يرجى من أمة فقدت أفكارها، وتزعزعت عقيدتها، واهتزت قيمها وتشككت في ثوابتها؟ إن الأمة يوم أن تفقد الفكرة والمنهج والعقيدة لا تفقد أمنها، إنما تفقد وجودها وكيانها. مجتمعنا اخترق بأفكار مستوردة وثقافات وافدة

وحضارات دخيلة وقيم جديدة، وتشكل المجتمع بطريقة غير عادية، وبالتالي أين الأمن الفكري؟ الأمن الفكري أن يحافظ على ثوابت الأمة وعلى أصولها. واسمحوا لي أن أقول: أي أمن فكري ويجاهر بفصل الدين عن الدولة وبإقصاء الإسلام عن الحياة وعن شؤون الناس، وهذا يصرح به في الصحف، أما الفضائيات فأمرها يختلف. إن هذه البلاد فقدت أمنها يوم أن فقدت سترها، ذلك لأن الأفكار تجعل الناس على قلب واحد، فإذا فقدت الأمة الأفكار كان ذهاب الريح وتفرق الكلمة.

ولا أكون مبالغًا أن أمن الأفكار قبل أمن الأرواح وأمن الغذاء وأمن الأعراض وأمن الأموال وسائر صنوف الأمن وتقسيماته الحديثة التي يتحدث عنها الناس: الأمن الغذائي، الأمن الاجتماعي، الأمن الفكري، الأمن العقدي.

المرتكز الثاني من مرتكزات الأمن في الإسلام الإعلام، له خطورة على أمننا. والدليل على ذلك: ماذا أعد الإعلام لشبابنا؟ ماذا أعد الإعلام لأطفالنا؟ ماذا أعد الإعلام للمرأة؟ ألم يفقد المجتمع السوداني، كما يقولون، تماسكه الأسري؟ ذلك لأن الأسرة صارت بعيدة عن التربية، وصارت التربية تتولاها أجهزة الإعلام. إننا نسلم أبناءنا إلى أناس غير مأمونين، وينبغي أن تعلموا حقيقة أن أجهزة الإعلام تديرها أجهزة المخابرات، نسلم أطفالنا للمخابرات العالمية.

بل إنك لتجد الأب الشايب قاعد بيتفرج في المسلسل ومعاه بناته وأولاده وأحفاده، مسلسلات بتعود الناس على المنكرات، ومع عري فاضح، مسلسلات إجرام وخيانة. الإعلام المعاصر بمسلسلاته وأفلامه يروج للعنف والجريمة. الإعلام هدم الأمن. الإعلام اليوم يدعو لعرض المفاتن والمحاسن والعري، ويحارب الحجاب والتعدد المشروع. برنامج في التلفزيون السوداني جابوا فيه مجموعة من الشباب يدافعوا عن الزواج العرفي، يسمونه زواجًا. إنه إعلام يشوش الأفكار ويحرف السلوك، مشكلة كبيرة جدًا. أليس هذا واقعنا؟

فضائيات فيها دجل وشعوذة. ادعاء علم الغيب شرك بالله سبحانه وتعالى، ومن أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد. صارت الفضائيات هي التي تربي، هي التي توجه، هي التي تشكل المجتمعات، كيف لا نفقد أمننا؟ وقد فقدنا قبل الأمن قيمنا.

ثالثًا: إن أهم مرتكزات الأمن في الإسلام على الإطلاق العدل، وقد تواطأت الشرائع السماوية على استحسان العدل. وإذا فقد العدل وأحس الواحد أنه مظلوم امتلأ حقدًا، ثم بعد ذلك نفّس عن حقده وبث أحقاده، فيفقد المجتمع أمنه. قديمًا قال ابن خلدون في علم التاريخ والاجتماع: لا دولة إلا برجال، ولا رجال إلا بمال،

ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل. إن أردتم الأمن فعليكم بالعدل.

إن الحاكم العادل لا يخشى أن يقتل، لأنه لن يتعدى عليه أحد، بل لو قتل لقتل وهو مطمئن النفس أنه شهيد عند الله. نجد أن حكامنا يحيطون أنفسهم برجال الأمن والشرطة والسياج لأنهم لم يعدلوا، ولو عدلوا لأمنوا. العدل لا يكلفك عناء، لأنك إن أعطيت كل إنسان حقه فلماذا يغضب؟ فلماذا يحقد عليك؟ وينبغي أن ننظر إلى مسألة دارفور بمسألة العدل والظلم. هل هنالك عدل؟ لو بُسط العدل لبُسط الأمن.

حكى الخرائطي في مساوئ الأخلاق قصة عجيبة، قال رحمه الله: كان هنالك ملك، تنكر وخرج من قصره يجوب أطراف دولته، فأدركه المبيت في كوخ. صاحب الكوخ ما عرف أنه الملك. قال له: السلام عليكم، ممكن يبيت معك؟ قال له: تفضل، أكرمه. صاحب الكوخ عنده بقرة واحدة، هذه البقرة تحلب حلبة ثلاثين بقرة. الملك ده تكيف من البقرة دي، قرر في نفسه أن يأخذها.

الحاكم لاحظ، قال للرجل: يعني لماذا قل لبنها؟ قال: والله لا أعرف. قال: طعامها؟ علفها؟ قال: نعم. موردها؟ قال: نعم. قال: لما نقص لبنها؟ قال: لعل مليكنا ظلم أو نوى ظلمًا. في اليوم الثالث عادت البقرة إلى حلبها. قال: ولم عادت إلى حلبها؟ قال: لعل مليكنا تاب إلى الله وأقلع عن الظلم. خرج الحاكم من الكوخ بأعظم درس: أن الأمن أساسه العدل، وأن الحاكم الذي لا يعدل سوف يخرج المجتمع، ولن يستقر المجتمع، وأن بعد ذلك الشرطة والقانون والنظام والدبابات والرشاشات والعربات بتاعت الشرطة لن تحفظ بعد ذلك الأمن.

رابعًا: إن من أهم مرتكزات الأمن في الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا». قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، ولو أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا.

نحن في مجتمع إذا أخطأ بعضنا وسكت الآخر: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. إن موقف المجتمع السلبي من المنكرات: خلّوا الخلق للخالق، ما لك ومال بنات الناس؟ إيش فيك؟ إن موقف المجتمع السلبي هو الذي قاد إلى هذه الفوضى، فوضى سلوكية وفوضى فكرية. وسبحان الله، مجرمون في بلادنا، مش في ناس بيعملوا إجرام؟ يقول لك: بالرفق، ما تكرهوا الناس في

الدين، بالراحة، والرسول كان بيدعو بالتي هي أحسن. طيب المجرمين برضو قل لهم: أجرموا بالتي هي أحسن، أفسدوا بالتي هي أحسن، خربوا بالتي هي أحسن، أهلكوا الحرث والنسل بالتي هي أحسن، دمروا الأخلاق والقيم والبنات، وأي حاجة، دعوها إباحية بس بالتي هي أحسن. إنها انتكاس الفطرة، في زمن فقدنا فيه مقومات الأمن الإسلامية.

وبالتالي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن يكون لكل مواطن دور في حفظ الأمن. إن من شعار الشرطة: الأمن مسؤولية الجميع. والله هذه حقيقة، لكن هل تفاعل الجميع مع مسؤولياته؟ أم أنهم لا يساعدون رجال الشرطة ولا يعاونونهم؟ إن من الأمن وسلامة الجميع أن نؤيد الأجهزة الشرطية والعدلية والأمنية.

خامسًا: إن من مقومات الأمن الأساسية البعد عن المعاصي والذنوب. قال جل وعلا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ...﴾.

سادسًا: إن من مقومات الأمن الأساسية الإيمان. قال جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾. الأمر مهم جدًا في الإيمان والعقيدة الصحيحة، وهذا يرجع إلى الأمن الفكري.

أسأل الله جل وعلا أن يحفظنا، وأن يحفظ بلادنا، وأن يصوننا، وأن يصون أعراضنا وأعراض المسلمين جميعًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلّ اللهم وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. سابعًا: إن من مرتكزات وأسس الأمن في الإسلام أن تكون هنالك مرجعية يرجع الناس إليها. ومرجعيتنا الآن في ظل اضطراب الأمن القانون. ماذا يفعل المواطن إذا اعتدي عليه؟ أول شيء يفعله أنه يفتح بلاغًا. الدولة هي المهمة، والعلماء وأهل الفكر. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. آية الأمن في سورة النساء تقول إنه عند الأمن لا بد أن تكون هنالك مرجعية.

أقدّر حديث رئيس بلادنا الذي قال إن الأمن محفوظ، وإن هنالك انفلاتات فردية لا تؤثر على الأمن. أقدّر كلامه باعتباره يريد أن يطمئن المواطن، وباعتباره يريد أن يعزز ثقة الناس في أجهزتهم وفي دولتهم. لكن الحقيقة أننا نلاحظ تصرفات فردية لكنها كثيرة. وأحداث ملكال لا يمكن أن تكون فردية، والاعتداء على رجال السلطة وقتلهم واستهدافهم لم يكن حالة فردية. لا بد من مرجعية يرجع إليها الناس، ونحن نرجع إلى دولة حتى لا تعم الفوضى وحتى يكون هنالك أمن.

ثامنًا: لا بد من مساندة ومساعدة رجال الأمن والسلطة لأداء دورهم وتسهيل مهمتهم. ولكن هنا عندي كلمة: إن حماة الأمن ينبغي أن يكونوا على درجة عالية من الأمن الفكري. ينبغي أن يرقّى ويثقّف دينيًا، ليس ضباط الشرطة إنما عناصر الشرطة في المستويات الأقل، يعلم أن ما يقومون به واجب شرعي، وأنهم مأجورون عند الله قبل أن يكونوا مأجورين عند الدولة. وأقترح أن تكون هنالك أجهزة أمنية شعبية من عامة المواطنين، بطريقة مرتبة عبر الدولة وقنواتها وأجهزتها، ويكون عندهم من الصلاحيات ما عندهم، ليحفظوا الأحياء إذا قامت فيها ما لا يحمد عقباه، ونسأل الله أن يسلم بلادنا.

وتاسعًا: لا بد من تعزيز قيم السماحة والطيبة وسخاء النفوس، الحقيقي الحب والوئام النابع من القلوب: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾. الأمن الحقيقي في الحب الذي يشاع. الآن في أحقاد في المجتمع بالمناسبة، وإشكالات حقيقية، ينبغي أن يتداعى العلماء لحل هذه الأمور من جذورها. إن الأمن الحقيقي في نشر قيم التسامح والوئام والحب، ونزع فتيل الضغائن والفتن من النفوس.

وعاشرًا وأخيرًا: لا بد من التدابير الوقائية والإجراءات الأمنية، وهذا قلته أخيرًا لأن هذا لا ينفع إذا لم تكن هنالك مرتكزات قبله. مثل انتشار الشرطة، تواجدك في كل مكان، تزويد مراكز الشرطة وتقويتها ودعمها بكافة الأجهزة، ترقية كفاءات الشرطة في علم الأمن والاستخبار، دعم رجال الشرطة ماديًا حتى لا نعرضهم للرشوة. ومن تلك التدابير نزع السلاح الموجود داخل العاصمة وغيرها، وينبغي أن يكون السلاح عند جهة واحدة. ألم يتعظ الناس من تجارب أفغانستان؟ السلاح منتشر، بعدها بدت ميليشيات يقاتل بعضهم بعضًا. ألم يتعظ الناس من تجربة الصومال وما فيها؟ نزع السلاح.

وبالتالي هذه والله أعتبرها خطة، خطة إسلامية تقدم للدولة ولأجهزتنا الأمنية والشرطية، إن كانت تريد أمنًا وإن كان المواطن يريد أمنًا. أسأل الله جل وعلا أن يحفظنا جميعًا. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. اللهم اجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا، ولا تجعل فينا ولا بيننا ولا معنا شقيًا ولا محرومًا ولا مطرودًا من رحمتك يا رب العالمين. اللهم احفظ بلاد المسلمين، اللهم احفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين، من أراد ببلادنا سوءًا وبأهلها دمارًا وخرابًا، اللهم فاجعل تدبيره تدميره يا رب العالمين. اللهم احفظ أمننا، اللهم احفظ أمننا وإيماننا وسلامتنا وإسلامنا يا رب العالمين. وصلّ اللهم وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/الأمن-في-الإيمان/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com